

القوة، الشدة، الكثافة الانفعالية

Emotional Intensity

د. محمد السعيد أبو حلاوة

مدرس الصحة النفسية وعلم نفس الأطفال غير العاديين
كلية التربية بدمنهور، جامعة الإسكندرية

المكتبة الإلكترونية

أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة

www.gulfkids.com

القوة، الشدة، أو الكثافة الانفعالية¹

يشير بيتشوفيسكي 1991 إلي أن من أهم الخصائص الانفعالية للأطفال والراشدين الموهوبين القوة أو الشدة أو الكثافة الانفعالية كما أن لديهم حياة نفسية داخلية شديدة الثراء (Piechowski,1991). والقدرة المتقدمة على الانفعال أو الشعور المرهف محددًا أوليًا ضروريًا في واقع الأمر لإنتاج الفنون الراقية، الموسيقي، الدراما الابتكارية، القصائد الشعرية الخالدة، والأدوات بالغة الرقي في مختلف مجالات الأداء الأخرى.

ومع ذلك يوجد مفارقة غريبة في الحقيقة مفادها أننا نقدر الأعمال الإنسانية الخالدة ونسقط أوصافًا راقية على مبتكروها كأن نصفهم بالمبدعين، العباقرة، الموهوبين.. الخ. ومع ذلك نزعج عندما نرى مؤشرات أولية للقوة أو الكثافة أو الشدة الانفعالية والاندماج الانفعالي لدي صغار الأطفال؟! والكثافة أو القوة والشدة الانفعالية خاصة أساسية مقترنة عضوياً إن صح التعبير بشخصية الموهوبين. فمن الطبيعي أن يشعر أو يتجاوب الموهوب مع الأحداث والوقائع والخبرات اليومية التي يتفاعل معها بعمق انفعالي ويخبر بناء على ذلك مدى واسع من الانفعالات. ويطلق دابروفيسكي و بيتشوفيسكي 1977 على القدرة العالية للشعور أو الإحساس الانفعالي المكثف أو الزائد لدي الموهوبين مصطلح " التهيج أو الإثارة الانفعالية الزائدة Emotional Over-Excitability وكشفت دراساتها عن وجود علاقة قوية بين هذه الخاصية وبين الذكاء المرتفع (Dabrowski&Piechowski,1977). ويعرف بيتشوفيسكي 1991 " التهيج أو الإثارة الانفعالية الزائدة " عمق وكثافة أو شدة الحياة الانفعالية ويتم التعبير عنها من خلال مدى واسع من المشاعر، التعلقات أو الارتباطات المبالغ فيها مع الآخرين، الرحمة والشفقة والتعاطف التام مع الآخرين، الإحساس المفرط بالمسئولية، فحص الذات والميل إلي التقييم السلبي للذات" (Piechowski,1991,P.287).

ويرى دابروفيسكي أن الحساسية والكثافة الانفعالية الشديدة لدي الشخص المبدع إمكانية إيجابية للنمو النفسي رفيع المستوى ولكن حال فهم/تفهم المحيطين به لطبيعتها وترحيبهم بالتالي بردود أفعاله أثناء التفاعلات الاجتماعية اليومية العادية ولكن تظهر عملية تحليل خبرات الحياة اليومية للكثير من الأطفال الموهوبين عكس ذلك إذ غالبًا ما يتعرض هؤلاء الأطفال للتجاهل بل للسخرية والاستهزاء نتيجة تصرفاتهم التي تبدو للمحيطين بهم غريبة أو شاذة أو على حد وصفهم منحرفة عن المعتاد والمألوف وهنا تصبح الموهبة نقمة يعمل المنعم عليهم بها على إنكارها أو إخفاءها.

ويزيد دابروفيسكي أنه لسوء الحظ أننا نعيش في ثقافة لا تنظر إلي الحياة الانفعالية الثرية بالغة القوة والكثافة بطريقة إيجابية. والرسالة الأولى التي يسمعها الطفل بغض النظر عن كونه موهوبًا أم لا " اسكت الآن، لا تبكي" ويتكرر تكرار سماع الطفل لمثل هذه التعبيرات خلال مرحلة طفولته بالكامل خاصة الأولاد ومن هذه العبارات كذلك " لا يصح أن يبكي الرجال؟ أنت ولد شاطر، لا يبكي إلا الإناث". كما أن الدرس الأساسي الذي يتعلمه الأطفال مع دخولهم المدرسة كيف يسيطرون، يقمعون، بل وينكرون انفعالاتهم ومشاعرهم كجزء من عملية التنشئة الاجتماعية وباعتبارها (السيطرة، القمع، إنكار الانفعالات والمشاعر) دالة للقوة والشخصية السوية!!!

وتجدر الإشارة إلي أن كبت الإنسان لانفعالاته ومشاعره كبت في واقع الأمر لوجوده ولحيويته و طاقة توجهه وربما يفسر هذا الوضع صعوبة محافظة الأطفال/التلاميذ على

¹ Linda Kreger Silverman, (2004). *Emotional Intensity*, Gifted Development Center, Denver, Colorado University Press.

دافعية التعلم. والدوافع ذات طبيعة انفعالية وليست عقلية. ويقدم لنا بيتشوفيسكي بعض التوجيهات والنصائح العامة للتعامل مع خاصية الحساسية الانفعالية الشديدة لدى الأطفال الموهوبين إذ يقول " إن شدة ردود الأفعال الانفعالية لدى الأطفال الموهوبين ربما يصعب فهمها في بعض الأحيان خاصة عندما يكون الطفل في حالة من البؤس أو الضيق الانفعالي التام بدون أسباب واضحة أو مفهومة. هنا علينا أن نتحلى بالصبر وأن ندرك عن يقين أن ردود الأفعال الانفعالية هذه تأتي أو تنتج من حساسية الطفل الزائدة وهي خاصية أصيلة في التكوين النفسي له وبالتالي فإن ما يثير أو ما ينشط الانفعالات لديه مختلف عن ما يثير أو عن ما ينشط الانفعالات لدى أقرانه العاديين كما أن تجاوبه انفعاليًا من نفس المثيرات أو المواقف التي يتعرض له أقرانه العاديين مختلفًا أيضًا. وكل ما يتطلبه الطفل الموهوب بدون شك المساندة والدعم الانفعالي والاجتماعي القوي خاصة من قبل الآباء والمعلمين إذ عليهم أن يمنحوه الحب، التقبل، والتسامح. (Piechowski, 1991, PP.287-289).

ومسئوليتنا نحن كأباء ومعلمين للأطفال موهوبين ليست أن نعلمهم كبح أو لجم انفعالاتهم ولا تحمل مشاعرهم وحبسها داخل نفوسهم والمعاناة من وطأة الآمها أو بهجتها بمفردهم. بل إن مهمتنا الأساسية أن نكون نحن نماذج دور فعالة أمامهم، أن نعيش أمامهم حياتنا الانفعالية بكل تفاصيلها، وأن نقدر ونحترم حساسيتهم الانفعالية وأن نعتبرها سمة إيجابية وأن نتعامل معهم من هذا المنظور. وإن لم نفعل ذلك سنشارك نحن أيضًا في ذبحهم انفعاليًا وسنضاعف من عوامل الخطورة المجتمعية التي تقضي في الواقع الاجتماعي الحالي إلي تآكل Corrosion نموهم الانفعالي الصحي.

وعلىنا أن نرفع لافتة تحذيرية مفادها أن الخطر الذي يحرق بمجتمعنا المعاصرة يأتي من التبلد أو التحجر الانفعالي ومن انخفاض مستوى الحس الانفعالي المرهف وليس من التفوق العقلي أو من القدرات العقلية غير العادية أو المرتفعة. وأن القصور والنقص الشديد في الحساسية الانفعالي هو مصدر التهديد الحقيقي للحياة على سطح كوكبنا. وبالتالي يجب أن ننمي الحساسية الانفعالية لدى كل الأطفال وليس إخمادها. والسؤال الرئيسي إن كانت الحساسية الانفعالية خاصية متأصلة تكوينيًا في شخصية الأطفال الموهوبين لكنها شديدة أو غير عادية ومبالغ فيها أليس من الأجدر أن نعيد صياغة مناهج وخبرات وأنشطة تنشئة، تعليم، رعاية هؤلاء الأطفال بما يمكنهم من التوظيف الإيجابي لهذه الخاصية؟ ثم أليس من المشروع في ضوء ما تقدم وفي ضوء ما هو مطروح في التراث السيكولوجي المعاصر من كتابات وبرامج تحت محور التعلم الانفعالي الاجتماعي أن نعد برامج سمها كما نشاء (تدريبية، تعليمية، إرشادية) لتنمية الذكاء الانفعالي لدى الأطفال الموهوبين وتقييم أثر مثل هذه البرامج على جودة حياتهم النفسية؟!!!!

= REFERENCES =

- Dabrowski, K., & Piechowski, M.M. (1977). *Theory of levels of emotional development (2 vols.)*. Oceanside, NY: Dabor Science.
- Piechowski, M.M. (1991). Emotional development and emotional giftedness. In N. Colangelo & G.A. Davis (Eds.), *Handbook of gifted education* (pp. 285-306). Boston: Allyn & Bacon.